

الحسن (إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) فيغفر سبحانه ذنب من استغفره ويرحمه عز وجل وفي حذف المعمول دلالة على العموم وتفصيل الكلام فيه معلوم نسأل الله تعالى عظيم مغفرته ورحمته لنا ولوالدنيا ولكافة مؤمنى بريته بحرمة سيد خلقته وسند أهل صفوته صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى آله وصحبه وشيعته

(سورة المدثر)

مكية قال ابن عطية بإجماع وفي التحرير قال مقاتل الآية وهي وما جعلنا عدتهم الا فتنة الخ وسيأتى ان شاء الله تعالى ما يشعر بان قوله تعالى عليها تسعة عشر مدنى بما فيه وآياتها ست وخمسون في العراقى والمدنى الاول وخمس وخمسون في الشامى والمدنى الاخير على ما فصل في محله وهي متواخية مع السورة قبلها في الافتتاح بندها النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وصدركليهما نازل على المشهور في قصة واحدة وبدئت تلك بالامر بقيام الليل وهو عبادة خاصة وهذه بالامر بالانذار وفيه من تكميل الغير ما فيه وروى أمية الازدى عن جابر بن زيد وهو من علماء التابعين بالقرآن ان المدثر تزلت عقب المزمل وأخرجه ابن الضريس عن ابن عباس وجعلوا ذلك من أسباب وضعها بعدها والظاهر ضعف هذا القول فقد أخرج أحمد والبخارى ومسلم والترمذى وجماعة عن يحيى بن أبي كثير قالت سألت أبا سلمة بن عبد الرحمن عن أول ما نزل من القرآن فقال يا أيها المدثر قلت يقولون اقرأ باسم ربك الذى خلق فقال أبو سلمة سألت جابر بن عبد الله عن ذلك وقلت له مثل ما قلت فقال جابر لا أحدثك الا ما حدثنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال جاورت بحراء فلما قضيت حوارى هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً ونظرت عن شمالى فلم أر شيئاً ونظرت خلفي فلم أر شيئاً فرفعت رأسي فاذا الملك الذى جاءني بحراء جالس على كرسى بين السماء والارض فجئت منه ربعاً فرجعت فقلت دثروني فدثروني فنزلت يا أيها المدثر قم فأندر وربك فكبر وفي رواية فجئت أهلى فقلت زملوني زملوني فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر الى قوله فاهجر فان القصة واحدة ولو كانت يا أيها المزمل هي النازلة قبل فيها لذكرت نعم ظاهر هذا الخبر يقتضى ان يا أيها المدثر تزل قبل اقرأ باسم ربك والمروى في الصحيحين وغيرها عن عائشة أن ذلك أول ما نزل من القرآن وهو الذى ذهب اليه أكثر الامة حتى قال بعضهم هو الصحيح ولصححة الخبرين احتاجوا للجواب فنقل في الاتقان خمسة أجوبة الاول ان السؤال في حديث جابر كان عن نزول سورة كاملة فين ان سورة المدثر تزلت بكاملها قبل تمام سورة اقرأ فان أول ما نزل منها صدرها الثانى ان مراد جابر بالاولية أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي لا أولية مطلقة الثالث ان المراد أولية مخصوصة بالامر بالانذار وعبر بعضهم عن هذا بقوله أول ما نزل للنبوة اقرأ باسم ربك وأول ما نزل للرسالة يا أيها المدثر الرابع ان المراد أول ما نزل بسبب متقدم وهو ما وقع من التدثر انناشئ عن الرعب وأما اقرأ فنزلت ابتداء بغير سبب متقدم الخامس ان جابر استخرج ذلك باجتهاده وليس هو من روايته فيقدم عليه ما روت عائشة رضى الله تعالى عنها ثم قال وأحسن هذه الاجوبة الاول والاخير انتهى وفيه نظر فتأمل ولا تغفل

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ • يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ) أصله المدثر فادغم وهو على الاصل في حرف أبى من تدثر لبس الدثار بكسر الدال وهو ما فوق القميص الذى يلى البدن ويسمى شعارا لانصاله بالبشرة والشعر ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الانصار شعار والناس دثار والتركيب على ما قيل دائر مع معنى الستر على سبيل الشمول كان الدثار ستر بالغ مكشوف نودى صلى الله تعالى

عليه وسلم باسم مشتق من صفته التي كان عليها تأنيسا له وملاطفة كما سمعت في يا أيها المزمل وتدثره عليه الصلاة والسلام لما سمعت آتفا وأخرج الطبراني وابن مردويه بسند ضعيف عن ابن عباس ان الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاما فلما أكلوا قال ما تقولون في هذا الرجل فاختلفوا ثم اجتمع رأيهم على أنه سحر يؤثر فبلغ ذلك النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فحزن وقنع رأسه وتدثر أي كما يفعل المغموم فأنزل الله تعالى يا أيها المدثر الى قوله تعالى ولربك فاصبر . وقيل المراد بالمدثر التدثر بالنبوة والكلمات النفسانية على معنى المتحلى بها والمتزين بآثارها وقيل أطلق المدثر وأريد به الغائب عن النظر على الاستمارة والتشبيه فهو نداه له بما كان عليه في غار حراء وقيل الظاهر أن يراد بالمدثر وكذا بالمزمل الكناية عن المستريح انفارغ لانه في أول البعثة فكانه قبل له عليه الصلاة والسلام قدمه ضى زمن الراحة وجاءتك المتاعب من التكليف وهداية الناس وانت تعلم أنه لا ينافي ارادة الحقيقة وأمر التلطيف على حاله وقال بعض السادة اى يا أيها السائر للحقيقة المحمدية بدثار الصورة الآدمية أو يا أيها الغائب عن أنظار الخليفة فلا يعرفك سوى الله تعالى على الحقيقة الى غير ذلك من المبارات والكل اشارة الى ما قالوا في الحقيقة المحمدية من انها عقيقة الحقائق التي لا يقف على كنهها أحد من الخلائق وعلى لسانها قال من قال

وانى وان كنت ابن آدم صورة * فلي فيه معنى شاهد بابوتى

وانها اتعين الاول وخازن السر المقفل وانها وانها الى أمور هيات أن يكون للعقل اليها منتهى

أعياء الورى فهم معناه فليس يرى * في القرب والبعد منه غير منفتح

كالشمس تظهر للعينين من بعد * صغيرة وتسكل الطرف من أمم

وكيف يدرك في الدنيا حقيقته * قوم نيام تسألوا عنه بالحلم

فبلغ المسلم فيه انه بشر * وانه خير خلق الله كلهم

وقرأ عكرمة المدثر بتخفيف الدال وتشديد التاء المكسورة على زنة الفاعل وعنه أيضا المدثر بالتخفيف والتشديد على زنة المفعول من دثره وقال دثرت هذا الامر وعصب بك أى شد والمعنى أنه المفعول عليه فالعظائم به منوطة وأمور حلها وعقد هابه مربوطة فكانه قيل يا من توقف أمور الناس عليه لانه وسيلتهم عند الله عز وجل (قم) من مضجعتك أو قم قيمم عزم وتصميم وجهه أبو حيان على هذا المعنى من أفعال الشروع كقولهم قام زيد يفعل كذا وقوله * على ما قام يشتمنى لئيم * وقام بهذا المعنى من أخوات كاد وتعقب بانه لا يخفى بعمده هنا لانه استعمال غير ما لوف وورود الامر منه غير معروف مع احتياجه الى تقدير الخبر فيه وكله تمسك (فَا نذِرْ) أى فاقبل الانذار أو أهدئه فلا يقصد منذر مخصوص وقيل يقدر المفعول خاصا أى فانذر عشيرتك الاقربين لمناسبته لابتداء الدعوة في الواقع وقيل يقدر عاما أى فانذر جميع الناس لقوله تعالى وما أرسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولم يقل هنا وبشر لانه كان في ابتداء النبوة والانذار هو الغالب اذ ذاك أو هـ اكتفاء لان الانذار يلزمه التبشير وفي هذا الامر بعد ذلك النداء اشارة عند بعض السادة الى مقام الجلوة بعد الخلوة قالوا واليهما الاشارة أيضا في حديث كنت كنزا مخفيا فاجبت أن اعرف الخ (وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ) واحص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء والمظمة اعتقادا وقولا ويروى انه لما نزل قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم الله أكبر فكبرت خديجة وفرحت وأيقنت أنه الوحي وذلك لان الشيطان لا يأمر بذلك والامر بالنسبة اليه صلى الله تعالى عليه وسلم غنى عن الاستدلال وجوز أن يحمل على تكبير الصلاة فقد أخرج ابن مردويه عن أبي هريرة قال قلنا يا رسول الله كيف نقول اذا دخلنا في

الصلاة فاتزل الله تعالى وربك فكبر فأمرنا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أن نفتح الصلاة بالتكبير وأنت تعلم أن نزول هذه الآية كان حيث لاصلاة أصلاً فهذا الخبر ان صح مؤول والفاه هنا وفيما بعد لافادة معنى الشرط فكانه قيل وما كان أى شئ حدث فلا تدع تكبيره عز وجل فالفاه جزائية وهي لكونها على ما قيل مزحلقة لا يضر عمل ما بعدها فيما قبلها وقيل انها دخلت في كلامهم على توهم شرط فلما لم تكن في جواب شرط محقق كانت في الحقيقة زائدة فلم يمتنع تقديم معمول ما بعدها عليها لذلك ثم ان في ذكر هذه الجملة بعد الامر السابق مقدمة على سائر الجمل اشارة الى مزيد الاهتمام بامر التكبير وایما على ما قيل الى أن المقصود الاولى من الامر بالقيام أن يكبر ربه عز وجل وينزهه من الشرك فان أول مايجب معرفة الله تعالى ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه والكلام عليه من باب اياك أعنى واسمعى يا حجاره وقد يقال لسئل ذكر هذه الجملة كذلك مسارعة لتشجيعه عليه الصلاة والسلام على الانذار وعدم مبالاته بما سواه عز وجل حيث تضمنت الاشارة الى ان نواصى الخلائق بيده تعالى وكل ماسواه مقهور تحت كبريائه نسالى وعظمته فلا ينبغي ان يهرب الا منه ولا يرغب الا فيه فكانه قيل قم فأنذر وأخصص ربك بالتكبير فلا يصدك شئ عن الانذار فتدبر ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾ تطهير الثياب كناية عن تطهير النفس عما تدم به من الافعال وتهذيبها عما يستهجن من الاحوال لان من لا يرضى بنجاسة مايماسه كيف يرضى بنجاسة نفسه يقال فلان طاهر الثياب نقي الذليل والاردان اذا وصف بالنقاء من المعاييب ومدانس الاخلاق ويقال فلان دنس الثياب وكذا دم الثياب للنادر ولان قبح فعله ومن الاول قول الشاعر

ويحي ما يلام بسوه خاق * ويحي طاهر الاثواب حر

ومن الثانى قوله لاهم ان عامر بن جهم * أوذم حججا في ثياب دسم
وكلمات جمهور الساف دائرة على نحو هذا المعنى في هذه الآية الكريمة. أخرج ابن جرير وغيره عن قتادة انه قال فيها يقول طهرها من المعاصى وهي كلمة عربية كانت العرب اذا نكت الرجل ولم يف بههد قالوا ان فلانا لدنس الثياب واذا وفي وأصاح قالوا ان فلانا لطاهر الثياب وأخرج ابن المنذر عن أبى مالك انه قال فيها عنى نفسه وأخرج هو وجماعة عن مجاهد أنه قال أى وعملك فأصاح ونحوه عن أبى رزين والسدى وأخرج هو أيضا وجماعة منهم الحاكم وصححه عن ابن عباس انه قال وثيابك فطهر أى من الاثم وفي رواية من الغدر أى لا تكن غدارا وفي رواية جماعة عن عكرمة ان ابن عباس سئل عن قوله تعالى وثيابك فطهر فقال لا تلبسها على غدرة ولا فجرة ثم قال ألا تسمعون قول غيلان بن سلمة

فانى بحمد الله لا ثوب فاجر * لبست ولا من غدرة أتقنع

ونحوه عن الضحاك وابن جبير وعن الحسن والقرطبي أى وخلقك فحسن وأنشدوا للكناية عن النفس بالثياب قول عنترة
فشككت بالرمح الطويل ثيابه * ليس الكريم على القنا بمحرم

وفي رواية عن الجبر وابن جبير انه كنى بالثياب عن القلب كما في قول امرئ القيس

فان تك قد ساءت منى خليقة * فسلى ثيابى من ثيابك تنسل

وقيل كنى بها عن الجسم كما في قول لبي وقدرت ابلا ركبها قوم وذهبوا بها

رموها باثواب خفاف فلانرى * لها شهبها الا النعام المنفرا

وطهارة الجسم قد يراد بها أيضا نحو ما تقدم . ومناسبة هذه المعانى لمقام الدعوة بما لا غبار عليه وقيل على كون تطهير الثياب كناية عما مر يكون ذلك أمراً باستكمال القوة العلمية

بعد الامر باستكمال القوة النظرية والدعاء اليه وقيل انه أمر له صلى الله تعالى عليه وسلم بالتخلق بالاخلاق الحسنة الموجبة لقبول الانذار بعد أمره عليه الصلاة والسلام بتخصيصه ربه عز وجل بالتكبير الذي ربما يوهم اباهه خفض الجناح لما سواه عز وجل واقتضاه عدم المبالاة والاكثرات بمن كان فضلا عن اعداء الله جل وعلا فكان ذكره لدفع ذلك التوهم وقيل على تفسير المدثر بالتدثر بالنبوة والكلمات النفسانية المعنى طهر دنارات النبوة وآثارها وأنوارها الساطعة من مشكاة ذاتك عما يدنسها من الحقد والضجر وقلة الصبر وقيل الثياب كناية عن النساء كما قال تعالى هن لباس لكم وتطهيرهن من الخطايا والمعائب بالوعظ والتأديب كما قال سبحانه قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقيل تطهيرهن اختيار المؤمنات العفائف منهن وقيل وطوئن في القبل لا في الدبر وفي الطهر لافي الحيض حكاية ابن بحر وأصل القول فيما أرى بعيد عن السياق ثم رأيت الفخر صرح بذلك وذهب جمع الى أن الثياب على حقيقتها فقال محمد بن سيرين أي اغسلها بالماء ان كانت متنجسة وروى نحوه عن ابن زيد وهو قول الشافعي رضي الله تعالى عنه ومن هنا ذهب غير واحد الى وجوب غسل النجاسة من ثياب المصلي وأمر صلى الله تعالى عليه وسلم بذلك على ما روى عن ابن زيد مخالفة للمشركين لانهم ما كانوا يصونون ثيابهم عن النجاسات وقيل ألقى عليه صلى الله تعالى عليه وسلم سلا شاة فشق عليه فرجع الى بيته حزينا فتدثر فليل له بإيها المدثر قم فانذروا لا تمنعك تلك السفاهة عن الانذار وربك فكبر عن ان لا ينتقم منهم وثيابك فطهر عن تلك النجاسات والقاذورات وأرادة التطهير من النجاسة للصلاة بدون ملاحظة قصة قيل خلاف الظاهر ولا تناسب الجملة عليها ما قبلها الا على تقدير ان يراد بالتكبير التكبير للصلاة وبعض من فسر الثياب بالجسم جواز ابقاء التطهير على حقيقته وقال أمر عليه الصلاة والسلام بالتنظيف وقت الاستنجاء لان العرب ما كانوا ينظفون أجسامهم أيضا عن النجاسة وكان كثير منهم يقول على عقبه وقال بعض الامر لمطلق الطلب فان تطهير ما ليس بطاهر من الثياب واجب في الصلاة ومحجوب في غيرها وقيل تطهيرها تعبيرها وهو أيضا أمر له عليه الصلاة والسلام برفض عادات العرب المذمومة فقد كانت عاداتهم تطويل الثياب وجرحم الذبول على سبيل الفخر والتكبر قال الشاعر

ثم راحوا عقب المسك بهم * يلحفون الارض هدايا الازر

وفي الحديث أزرة المؤمن الى انصاف ساقيه ولا جناح عليه فيها بينه وبين الكمين وما كان أسفل من ذلك ففي النار واستعمال التطهير في التقصير مجاز للزومه له فكثيرا ما يفضى تطويلها الى جرد يوهلها على القاذورات ومن الناس من جعل التقصير بعد اذنته من التطهير كناية عن عدم التكبر والحيلاء ويكون ذلك أمرا له صلى الله تعالى عليه وسلم بالتواضع والمداومة على ترك جرد يبول التكبر والحيلاء بعد أمره بتخصيص الكبرياء والعظمة به تعالى قولاً واعتقاداً فكانه قيل وربك فكبر وأنت لا تتكبر ليتسنى لك أمر الانذار وبعض من يرى جواز الجمع بين الحقيقة والمجاز حمل التطهير على حقيقته ومجازه أعنى التقصير والتوصل الى ارادة مثل ذلك عند من لا يرى جواز الجمع سهل وجوز أن يراد بالتطهير ازالة ما يستقدر مطلقا سواء النجس أو غيره من المستقدر الطاهر ومنه الاوساخ فيكون ذلك أمرا له صلى الله تعالى عليه وسلم بتنظيف ثيابه وازالة ما يكون فيها من وسخ وغيره من كل ما يستقدر فانه منفرد لا يليق بمقام البعثة ويستلزم هذا بالاولى تنظيف البدن من ذلك ولذا كان صلى الله تعالى عليه وسلم أنظف الناس ثوبا وبدنا وربما يقال باستلزام ذلك بالاولى أيضا الامر بالانتزه عن المنفر القولى والفعل كالفحش والفظاظة والغلظة الى غير ذلك فلا تفعل (والرجز فاهجر) قال القتيبي الرجز

العذاب وأصله الاضطراب وقد أقيم مقام سببه المؤدى اليه من المآثم فكأنه قيل اجر المآثم والمعاصى المؤدى الى العذاب أو الكلام بتقديره مضاف أى أسباب الرجز أو التجوز في النسبة على ما قيل ونحو هذا قول ابن عباس الرجز السخط وفسر الحسن الرجز بالمصيبة والنخس بالآثم وهو بيان للمراد ولما كان المخاطب بهذا الامر هو النبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو البرى عن ذلك كان من باب اياك أعنى واسمى أو المراد الدوام والثبات على اجر ذلك وقيل الرجز اسم لصندين اساف ونائلة وقيل للاصنام عموما وروى ذلك عن مجاهد وعكرمة والزهرى والكلام على ما سمعت آنفا وقيل الرجز اسم للقيح المستقذر والرجز فاجر كلام جامع ومكارم الاخلاق كأنه قيل اجر الحفاء والسفه وكل شئ يقبح ولا تتخلق باخلاق هؤلاء المشركين وعليه يحتمل ان يكون هذا أمرا بالثبات على تطهير الباطن بعد الامر بالثبات على تطهير الظاهر بقوله سبحانه وثيابك فطهر وقرأ الاكترون الرجز بكسر الراء وهي لغة قريش ومعنى المكسور والمضموم واحد عند جمع وعن مجاهد ان المضموم بمعنى الصنم والمكسور بمعنى العذاب وقيل المكسور النقائص والفجور والمضموم اساف ونائلة وفي كتاب الخليل الرجز بضم الراء عبادة الاوثان وبكسرها العذاب ومن كلام السادة أى الدنيا فاترك وهو مبنى على انه أريد بالرجز الصنم والدنيا من أعظم الاصنام التى حبها بين العبد وبين مولاه وعبدتها أكثر من عبده فانها تعبد في البيع والكنائس والصوامع والمساجد وغير ذلك أو أريد بالرجز القبيح المستقذر والدنيا عند العارف في غاية القبح والقذارة فمن الامير كرم الله تعالى وجهه أنه قال الدنيا أحقر من ذراع خنزير ميت باك عليه كلب في يد مجذوم وقال الشافعى

وما هي الا حيفة مستحيلة * عليها كلاب همهن اجتنابها

فان تجتنبها كنت سالما لاهلها * وان تجتنبها نازعتك كلابها

ويقال كل ما ألهى عن الله عز وجل فهو رجز يجب على طالب الله تعالى هجره اذ هذا الهجر ينال الوصال وبذلك القطع يحصل الاتصال ومن أعظم لاه عن الله تعالى النفس ومن هنا قيل أى نفسك خالفها والكلام في كل ذلك من باب اياك أعنى أو القصد فيه الى الدوام والثبات كما تقدم (وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ) أى ولا تمنن تستكثر أى طالبها للكثير من تعطيه قاله ابن عباس فهو نهي عن الاستغزاز وهو أن يهب شيئا وهو يطمع أن يتعوض من الموهوب له أكثر من الموهوب وهذا جائز ومنه الحديث الذى رواه ابن ابي شيبة موقوفا على شريح المستغزى يثاب من هبته والاصح عند الشافعية أن النهى للتحريم وانه من خواصه عليه الصلاة والسلام لان الله تعالى اختار له عليه الصلاة والسلام أكمل الصفات وأشرف الاخلاق فامتنع عليه أن يهب لعوض أكثر وقيل هو نهي تنزيه للكل أو ولا تمنن مستكثرا أى راثيا لما تعطيه كثيرا فالسين للوجدان لا للطلب كما في الوجه الاول الظاهر والنهي عن ذلك لانه نوع اعجاب وفيه بخل خفى وعن الحسن والربيع لا تمنن بحسناتك على الله تعالى مستكثرا لها أى راثيا اياها كثيرة فتتقص عند الله عز وجل وعد من استكثر الحسنات بعض السادة رؤية أنها حسنات وعدم خشية الرد والغفلة عن كونها منه تعالى حقيقة وعن ابن زيد لا تمنن بما أعطاك الله تعالى من النبوة والقرآن مستكثرا به أى طالبا كثيرا الاجر من اناس وعن مجاهد لا تضعف عن عملك مستكثرا لطاعتك فتمنن من قولهم جبل منين أى ضعيف ويتضمن هذا المعنى ما أخرجه ابن مردويه عن ابن عباس أنه قال أى لا تقل قد دعوتهم فلم يقبل منى عد فادعهم وقرأ الحسن وابن ابي عتبة تستكثر بسكون الراء وخرج على انه حزم والفعل بدل من تمنن المجزوم بلا الناهية كانه قيل ولا تمنن لا تستكثر لان من شأن المانن بما يعطى أن يستكثره أى يراه كثيرا ويعتد به وهو بدل اشتغال وقيل بدل كل من كل على دعاه الاتحاد وفي

الكشف الابدال من تمن على أن المن هو الاعتداد بما أعطى لا الاعطاء نفسه فيه لطيفة لان الاستكثار مقدمة المن فكأنه قيل لا تستكثر فضلا عن المن وجوز أن يكون سكون وقف حقيقة أو باجراء الوصل مجراه أو سكون تخفيف على أن شبه ثرو بعصد فسكن الراء الواقعة بين التاء وواو ولربك كما سكنت الضاد وليس بذلك والجملة عايه في موضع الحال وقرأ الحسن أيضا والاعمش تستكثر بالنصب على اضمار أن كقولهم مره يحفرها أى أن يحفرها وقوله

ألا أيهدا الزاجرى احضر الوغى * وأن أشهد الذات هل أنت مخلدى

في رواية نصب احضر وقرأ ابن مسعود أن تستكثر باظهار أن فالمن بمعنى الاعطاء والكلام على ارادة التعليل أى ولا نمط لاجل أن تستكثر أى تطلب الكثير بمن تعاطيه وأيد به ارادة المعنى الاول في قراءة الرفع وجوز الزمخشرى في تلك القراءة أن يكون الرفع الحذف وأن ابطال عمها كما روى احضر الوغى بالرفع فالجملة حينئذ ليست حالية وتمتعه أبو حيان بأنه لا يجوز حمل القرآن على ذلك اذ لا يجوز ما ذكر الا في الشعر ولنا مندوحة عنه مع صحة معنى الحال ورد بان الختلاف للقياس بقاء عملها بمد حذفها وأما الحذف والرفع فلا محذور فيه وقد أجازته النحاة ومنه تسمع بللميدى خير من أن تراه ﴿ وَرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ قيل على أذى المشركين وقيل على أداء الفرائض وقال ابن زيد على حرب الاحمر والاسود وفيه بعد اذ لم يكن جهاد يوم نزولها وعن النخعي على عطيتك كأنه وصله بما قبله وجهه صبرا على العطاء من غير استكثار والوجه كما قال جار الله أن يكون أمرا بنفس الفعل والمعنى لقصد جهته تعالى وجانبه عز وجل فاستعمل الصبر فيتناول لعدم تقدير المتعاق المفسد للعموم كل مصبور عليه ومصبور عنه ويراد الصبر على اذى المشركين لانه فرد من افراد العام لا لانه وحده هو المراد وعن ابن عباس الصبر في القرآن على ثلاثة أوجه صبر على أداء الفرائض وله ثلثمائة درجة وصبر عن محارم الله تعالى وله ستائة درجة وصبر على المصائب عند الصدمة الاولى وله تسعمائة درجة وذلك لشدة على النفس وعدم التمكن منه الا بزيد اليقين ولذلك قال صلى الله تعالى عليه وسلم سألك من اليقين ما همون به على مصائب الدنيا وذكروا أن للصبر باعتبار حكمه أربعة أقسام فرض كالصبر عن المحظورات وعلى أداء الواجبات ونقل كالصبر عن المكروهات والصبر على المسنونات ومكروه كالصبر عن أداء المسنونات والصبر على فعل المكروهات وحرام كالصبر على من يقصد حرمة بمحرم وترك التعرض له مع القدرة الى غير ذلك وتام الكلام عليه في محله وفضائل الصبر الشرعى الحمود مما لا تحصى ويكفى في ذلك قوله تعالى إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب وقوله صلى الله تعالى عليه وسلم قال الله تعالى اذا وجهت الى عبد من عبيدى مصيبة في بدنه أو ماله أو ولده ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحيت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزانا أو أنشرله ديوانا ﴿ فَإِذَا نَقَرَ ﴾ أى نفخ ﴿ فِي النَّاقُورِ ﴾ في الصور وهو فاعول من النقر بمعنى التصويت وأصله القرع الذى هو سبه ومنه منقار الطائر لانه يقرع به ولهذا السببية تجوز به عنه وشاع ذلك وأريد به النفخ لانه نوع منه والفاء للسببية كانه قيل اصبر على أداءهم فين أيديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة أداءهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعمل في اذا ما دل عليه قوله تعالى ﴿ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ فالمنى اذا نقر في الناقور عسر الامر على الكافرين والفاء في هذا لاجزاء وذلك اشارة الى وقت النقر المفهوم من فاذا نقر وما فيه من معنى البعد مع قرب المهمل لفظا بالشار اليه الايدان ببعد منزلته في الهول والفضاعة ومحله الرفع على الابتداء ويومئذ قيل بدل منه مبنى على الفتح لاضافته الى غير متمكن والحبر يوم عسير فكأنه قيل فيوم النقر يوم عسير وجوز أن يكون يومئذ ظرفا مستقرا ليوم عسير أى صفة له فلما تقدم عليه صار

حالا منه والذي أجاز ذلك على مافي الكشف ان المعنى فذلك وقت النقر وقوع يوم عسير لان يوم القيامة يأتي ويقع حين ينقر في الناقدور فهو على منوال زمن الربيع العيديه أي وقوع العيديه وماله فذلك الوقوع وقوع يوم الحوج وما ذكر يعلم اندفاع ما يتوهم من تقديم معمول المصدر أو معمول مافي صلته على المصدر ان جعل ظرف الوقوع المقدر أو ظرف عسير والتصريح بلفظ وقوع ابراز المعنى وتفص عن جعل الزمان مطروف الزمان برجوعه الى الحدث فتدبر وظاهر صنيع الكشف اختيار هذا الوجه وكذا كلام صاحب الكشف اذ قرر على أنهم وجه وادعى فيما سبق تمسقا نعم جوز عليه الرحمة ان يكون يومئذ معمول مادل عليه الجزاء أيضا كما أنه قيل فاذا نقر في الناقدور عسر الامر على الكافرين يومئذ وأياما كان فعل الكافرين متعلق بعسير وقيل بمحذوف هو صفة لعسير أو حال من المستكن فيه وأجاز ابو البقاء تعلقه بعسير في قوله تعالى (غَيْرُ يَسِيرٍ) وهو الذي يقتضيه كلام قتادة وتعبه أبو حيان بانه ينبغي أن لا يجوز لان فيه تقديم معمول المضاف اليه على المضاف وهو ممنوع على الصحيح وقد أجازوه بعضهم في غير حلالها على لا يقول أنا يزيد غير راض وزعم الحوفي ان اذا متعلقة بأنذر والفاء زائدة وأراد أنها مفعول به لأنذر كأنه قيل قم فانذرهم وقت النقر في الناقدور وقوله تعالى فذلك الحجة مستأنفة في موضع التمليل وهو كما ترى وجوز أبو البقاء تخريج الآية على قول الاخفش بأن تكون اذا مبتدأ والخبر فذلك والفاء زائدة وجعل يومئذ ظرفا لذلك ولا ظنك في مربة من انه كلام اخفش وقال بعض الاجلة ان ذلك مبتدأ وهو اشارة الى المصدر أي فذلك انقر وهو العامل في يومئذ ويوم عسير خبر المبتدأ والمضاف مقدر أي فذلك النقر في ذلك اليوم نقر يوم وفيه تكلف وعدول عن الظاهر مع أن عسر اليوم غير مقصود بالافادة عليه وظاهر السياق قصد به الافادة وجعل العلامة الطيبي هذه الآية من قبيل ما اتحد فيه الشرط والجزاء نحو من كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله اذ جعل الاشارة الى وقت النقر وقال ان في ذلك مع ضم التكرير دلالة على التنبيه على الخطب العجيب والامر العظيم وفيه نظرو فائدة قوله سبحانه غير يسير أي سهل بعد قوله تعالى عسير تأكيد عسره على الكافرين فهو يمنع أن يكون عسيرا عليهم من وجه دون وجه ويشمر بتيسره على المؤمنين كأنه قيل عسير على الكافرين غير يسير عليهم كما هو يسير على أصدادهم المؤمنين ففيه جمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم ولا يتوقف هذا على تعلق على الكافرين بعسير نعم الامر عليه أظهر كما لا يخفى ثم مع هذا لا يخلو قلب المؤمن من الخوف أخرج ابن سعيد والحاكم عن هز بن حكيم قال أمنا زرارة بن أوفي فقرأ المدثر فلما بلغ فاذا نقر في الناقدور خر ميتا فنكنت فيمن حمله وأخرج ابن شيبه والطبراني وابن مردويه عن ابن عباس قال لما نزلت فاذا نقر في الناقدور قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحى جبهته يستمع متى يؤمر قالوا كيف نقول يا رسول الله قال قولوا احسبنا الله ونعم الوكيل وعلى الله توكلنا واختلف في أن المراد بذلك الوقت يوم النفخة الاولى أو يوم النفخة الثانية ورجح انه يوم الثانية لانه الذي يخص عسره بالكافرين وأما وقت النفخة الاولى فحكمه الذي هو الاصفاق يوم البر والفاجر وهو على المشهور مختص بمن كان حيا عند وقوع النفخة (ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا) نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي كما روى بن ابن عباس ومجاهد وقتادة وغيرهم بل قيل كونها فيه متفق عليه وهو يقتضى أن هذه السورة لم تنزل جملة اذ لم يكن أمر الوليد وما اقتضى نزول الآية فيه في بده البشة فلا تنفل ووحيدا حال إما من الياء في ذرني وهو المروي عن مجاهد أي ذرني وحدي معه فانا أغنيك في الانتقام عن كل منتقم أو من التاء في خلقت أي خلقت وحدي لم يشركني في خلقه أحد فانا أهلكه لأحتاج الى ناصر في اهلاكه

أوهن الضمير المحذوف المائد على من على ما استظهره أبو حيان أي ومن خلقته وحيدا فريدا لا مال له ولا ولد وجوز أن يكون منصوبا بأذم ونحوه فقد كان الوليد يلقب في قومه بالوحيد فتهكم الله تعالى به وبلقبه أو صرفه عن الغرض الذي كانوا يؤمنونه من مدحه والثناء عليه إلى جهة ذمه وعييه فأراد سبحانه وحيدا في الحث والشرارة أو وحيدا عن أبيه لأنه كان دعيا لم يعرف نسبه للعفيرة حقيقة كما مر في سورة نون ﴿ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا ﴾ مبسوطا كثيرا أو ممدودا بالثناء من مد النهر ومدته نهر آخر وقيل كان له الضرع والزرع والتجارة وعن ابن عباس هو ما كان له بين مكة والطائف من الأبل والنعم والجنان والمييد وقيل كان له بستان بالطائف لا تقطع ثماره صيفا وشتاء وقال النعمان بن بشير المال الممدود هو الأرض لأنها مدت وعن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه أنه المستغل الذي يجبي شهرا بعد شهر فهو ممدود لا ينقطع وعن ابن عباس ومجاهد وابن جبير كل ألف دينار وعن قتادة ستة آلاف دينار وقيل تسعة آلاف دينار وعن سفيان الثوري روايتان أربعة آلاف دينار وألف ألف دينار وهذه الأقوال ان سحت ليس المراد بها تعيين المال الممدود وإنه في أطاق يراد به ذلك بل بيان أنه كان بالنسبة إلى المحدث عنه كذا ﴿ وَبَيْنَ شُهُودًا ﴾ حضوره به بكة يتمتع مشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف في عمل أو تجارة لكونهم مكفيين لو فور نعمهم وكثرة خدمهم أو حضورا في الأندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم أو تسمع شهادتهم فيبأيتحاكم فيه واختلاف في عدمهم فمن مجاهد أنهم عشرة وقيل ثلاثة عشر وقيل سبعة كلهم رجال الوليد بن الوليد وخالد وهشام وقد أسلم هؤلاء الثلاثة والعماس وقيس وعبد شمس وعمارة واختلفت الرواية فيه أنه قتل يوم بدر أو قتله النجاشي لجباية نسبت إليه في حرم الملك والروايتان متفقتان على أنه قتل كافرا ورواية الثعلبي عن مقاتل إسلامه لا تصح ونفس ابن حجر على أن ذلك غلط وقد وقع في هذا الغلط صاحب الكشاف وتبعه فيه من تبعه والمعجب أيضا أنهم لم يذكروا الوليد بن الوليد فيمن أسلم مع أن المحدثين عن آخرهم أطبقوا على إسلامه ﴿ وَهَدَّتْ لَهُ مَهْدًا ﴾ بسطت له الرياسة والجاه المرض فأنعمت عليه نعمتى الجاه والمال واجتماعهما هو الكمال عند أهل الدنيا وأصل التمهيد التسوية والتهيئة وتعجوزه عن بسطة المال والجاه وكان لكثرة غناه ونضارة حاله الرائقة في الأعين منظرا ومخبرا يلقب ربحانة قريش وكذا كانوا يلقبونه بالوحيد بمعنى المنفرد باستحقاق الرياسة وعن ابن عباس وسعت له ما بين اليمن إلى الشام وعن مجاهد مهدت له المال بمضه فوق بعض كما يهد الفراش ﴿ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴾ على ما أديته وهو استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه إما لأنه في غنى تام لا مزيد على ما أوتى سعة وكثرة أو لأنه مناف لما هو عليه من كفران النعم ومعاندة النعم وعن الحسن وغيره أنه كان يقول إن كان محمد صادقا فما خلقت الجنة إلا لي واستعمال ثم للاستبعاد كثير قيل وهو غير التفاوت الرتبى بل عد الشيء بعيدا غير مناسب لما عطف عليه كما تقول تسيء إلى ثم ترجو إحسانى وكان ذلك لتزليل البعد المعنوي منزلة البعد الزماني ﴿ كَلَّا ﴾ ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع لرجائه الخائب وقوله سبحانه ﴿ إِنَّهُ كَانَ لَلَّيَّاتِنَا عَنِيدًا ﴾ جملة مستأنفة استئنفا بيانيا لتلليل ما قبل كأنه قيل لم زجر عن طلب المزيد وما وجه عدم لياقته فقيل أنه كان معاندا لآيات النعم وهي دلائل توحيد أو الآيات القرآنية حيث قال فيها ما قال والمائدة تناسب الأزالة وتمنع من الزيادة قال مقاتل مازال الوليد بعد تزول هذه الآية في نقص من ماله وولده حتى هلك ﴿ سَارَهُ قَهٌ صَعُودًا ﴾ سأغشيه عقبة شاقفة المصعد وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعب الذي لا يطاق شبه ما يسوقه الله تعالى له من المصائب وأنواع المشاق بتكليف الصعود في الجبال الوعرة

الشاقة وأطلق لفظه عليه على سبيل الاستعارة التمثيلية وروى أحمد والترمذي والحاكم وصححه وجماعة عن أبي سعيد الخدري مرفوعا الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفا ثم يهوى فيه كذلك أبدا وعنه صلى الله تعالى عليه وسلم يكلف أن يصعد عقبة في النار كلما وضع عليها يده ذابت وإذا رفعها عادت وإذا وضع رجله ذابت فإذا رفعها عادت ﴿ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴾ تلييل للوعيد واستحقاقه له أو بيان لسناده لا آياته عز وجل فيكون جملة مفسرة لذلك لا عمل لها من الاعراب وما بينهما اعتراض وقيل الجملة عليه بدل من قوله تعالى انه كان لا آياتنا عنيدا أى انه فكر ماذا يقول في شأن القرآن وقدر في نفسه ما يقول ﴿ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ تعجب من تقديره واصابته فيه المحزور وميه الفرض الذي كان ينتحيه قريش فهو نظير قاتلهم الله أنى يؤفكون أو نساء عليه هكأ على نحو قاتله الله ما أشجعه أو حكاية لما كرروه على سبيل الدعاء عند سماع كذبه الخفاء فالعرب تقول قتله الله ما أشجعه وأخزاه الله ما أشعروا يريدون انه قد بلغ المبلغ الذي هو حقيق بان يحسد ويدعو عليه حاسده بذلك وما له على ما قيل الى الاول وان اختلف الوجه روى أن الوليد بن المغيرة جاء الى النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقرأ عليه القرآن فكان رقبته فبلغ ذلك أبا جهل فقال يا عم ان قومك يريدون ان يجمعوا لك مالا فيمطوك فانك أتيت محمداً لتصيب مما عنده قال قد علمت قريش أنى من أكرها مالا قال فقل فيه قولا يبلغ قومك انك منكر له وانك كاره له قال وماذا أقول فوالله ما فيكم رجل أعلم بالشعر منى لا برجزه ولا بقصيده ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذى يقول شيئا من هذا والله ان لقوله الذى يقوله حلاوة وان عليه لطلاوة وانه لثمر أعلاه ممدق أسفله وانه ليعلو ولا يعلم وانه ليحطم ما تحته قال لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه قال دعنى حتى أفكر فلما فكر قال ما هو الا سحر يؤثر فعجبوا بذلك وقال محبي السنة لما نزل على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم الى قوله تعالى المصير قام النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في المسجد والوليد قريب منه يسمع قراءته فلما فطن النبي عليه الصلاة والسلام لاستنماعه أعاد القراءة فانطلق الوليد الى مجلس قومه بنى مخزوم فقال والله لقد سمعت من محمداً نفا كلاما ما هو من كلام الانس ولا من كلام الجن ان له حلاوة وان عليه اطلاوة وان أعلاه لثمر وان أسفله لممدق وانه ليعلو وما يعلم فقال قريش صبا والله الوليد والله لتصيان قريش كلهم فقال أبو جهل أنا أفيكموه فقدم اليه حزينا وكله بما أحياه فقام فاتاهم فقال تزعمون أن محمداً مجنون فهل رأيتموه يخفق وتقولون انه كاهن فهل رأيتموه قط يتكهن وتزعمون انه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعرا وتزعمون انه كذاب فهل جربتم عليه شيئا من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لائم قالوا فاهو ففكر فقال ما هو الا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذى يقوله الا سحر يأتريه عن مسيلمة وعن أهل بابل فارتج الناصى فرحا وتفرقوا ممجيين بقوله متعجبين منه ﴿ ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾ تكرر للمبالغة كما هو معتاد من أعجب غاية الإعجاب والمعطف بتم للدلالة على تفاوت الرتبة وان الثانية أبلغ من الاولى فكانه قيل قتل بنوع ما من القتل لا بل قتل بأشده وأشداه ولذا ساغ المعطف فيه مع انه تأكيد ونحوه ما في قوله

وما لي من ذنب اليهم علمته ❦ سوى أنى قد قلت ياسرحة اسلمى

ألا ياسلمى ثم اسلمى ثم اسلمى ❦ ثلاث تحيات وان لم تسلمى

والاطراء في الاعجاب بتقديره يدل على غاية التهم به وبمن فرح بمحصول تفكيره وقال الراغب في غرة التنزيل كان الوليد بن المغيرة لما سئل عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قدر ما أتى به من القرآن فقال ان قلنا شاعر كذبنا العرب اذا عرضت ما أتى به على الشعر وكان يقصد بهذا التقدير تكذيب الرسول صلى الله تعالى عليه

وسلم بضرب من الاحتيال فلذلك كان كل تقدير مستحقا لعقوبة من الله تعالى هي كالقتل اهلاكا له فالاول لتقديره على الشر أى اهلك اهلاكا المقتول كيف قدر وقوله تعالى ثم قتل كيف قدر لتقديره الآخر فانه قدر أيضا وقال فان ادعينا ان ما أتى به من كلام الكهنة كذبتنا العرب اذا رأوا هذا الكلام مخالفا لكلام الكهان فهو في تقديره له على كلام الكهنة مستحق من العقوبة لما هو كالقتل اهلاكا له فانه ذلك لهذا فلم يكن في الاعداء تكرار والاول هو ما ذهب اليه جار الله وجعل الدعاء اعتراضا وقال عليه الطيبي أنه ليس من الاعتراض المتعارف الذى ينحل لتزيين الكلام وتقريره لان الفاء مانعة من ذلك بل هو من كلام الغير ووقع الفاء في تضاعيف كلامه فادخل بين الكلامين المتصلين على سبيل الحكاية ثم قال وهو متعسف وانما سلكه لانه جعل الدعاءين من كلام الغير وأما اذا جملا من كلام الله تعالى استهزاء كما ذكر هو أو دعاء عليه كما ذهب اليه الراغب وعليه تفسير الواحدى على ما قال ونقل عن صاحب النظم فقتل كيف أى عذب ولعن كيف قدر كما يقال لأضربنه كيف صنع أى على أى حال كانت منه لتكون الافعال كلها متناسقة مرتبة على التفاوت في التعقيب والتراخي زمانا ورتبة كما يقتضيه المقام كان أحسن وجاء النظم على السنين المألوف من التنزيل الى آخر ما قال وما تقدم أبعد مفزى والاعتراض من المتعارف وهو يؤكد ماسبق له الكلام أحسن تأكيد والفاء غير مانعة على مانص عليه جار الله وغيره وجعل من الاعتراض المقرون بها فاسألوا أهل الذكر ومنه قوله

واعلم فعلم المره ينفعه * أن سوف يأتي كل ماقدرا

وقد حقق انه بالحقيقة نتيجة وقعت بين اجزاء الكلام اهتماما بشأنها فأدت فائدة الاعتراض وعدت منه والاعتراض بين قوله تعالى انه فكر وقدر وقوله سبحانه (ثم نظر) للمطوف وثم فيه وفيما بعد على معناها الوضعى وهو التراخي الزمانى مع مهلة أى ثم فكر في أمر القرآن مرة بعد أخرى (ثم عيس) قطب وجهه لما لم يجد فيه مطلقا وضافت عليه الحيل ولم يدبر ماذا يقول وقيل ثم نظر في وجوه القوم ثم قطب وجهه وقيل نظر الى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ثم قطب في وجهه عليه الصلاة والسلام (وبسر) أى أظهر العبوس قبل أو انه وفي غير وقته فالبسر الاستعجال بالشيء نحو بسر الرجل لحاجة طلبها في غير أو انها وبسر الفحل الناقه ضربها قبل أن تطلب وماء بسر متناول من غديره قبل سكونه وقيل للجن الذى ينسك قبل النضج بسر ومنه قيل لما لم يدرك من الثمر بسر وبهذا فسر الراغب هنا وفسره بعضهم بأشد العبوس من بسر اذا قبض ما بين عينيه كراهة للشيء واسود وجهه منه ويستعمل بمعنى العبوس ومنه قول توبة

قد رأيت منها صدود رأيت به * وأعراضها عن حاجتي وبورها

وقول سعد لما أسدت راعته أى فكانت تلقانى مرة بالشر ومرة بالسحر فينشد يكون ذكر بسر كالتأيد لبس ولعله مراد من قال اتباع له وأهل الدين يقولون بسر المركب وأبسر اذا وقف ولم أر من يجوز ازادة ذلك هنا ولو على بعد وفى النفس من ثبوت ذلك لغة صحيحة توقف (ثم أدبر) عن الحق أو عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم (واستكبر) عن اتباعه (فقال إن هذا إلا سحر يؤثر) أى يروى ويتعلم من سحرة بابل ونحوهم وقيل أى يختار ويرجع على غيره من السحر وليس يختار والفاء للدلالة على أن هذه الكلمة الخفاء لما خطرت بباله نفوه بها من غير تلمس وتلبث فهي لتعقيب من غير مهلة ولا مخالفة فيه لما مر من الرواية كما لا يخفى وقوله (إن هذا إلا قول البشر) كالتأكيد لتعجبه الاولى لان المقصود منهما منى كونه

قرآنا ومن كلام الله تعالى وان اختلفا معنى ولا اعتبار بالاتحاد في المقصود لم يعطف عليها وأطلق بعضهم عليه التأكيد من غير تشبيهه والامر سهل وفي وصف اشكاله التي تشكل بها حتى استنبط هذا القول السخيف استهزاء به وأشار الى أنه عن الحق الابليج بمنزل ثم ان الذي يظهر من تتبع أحوال الوليد أنه انما قال ذلك عناد وحمية جاهلية لاجهلا بحقيقة الحال وقوله تعالى (سأصليه سقر) بدل من سأرهقه الخ بدل اشتمال لاشتمال السقر على الشدائد وعلى الجبل من النار والوصف الآتي لا ينافي الابدال على ارادة الجبل بناء على أن المراد به نحو ما في الحديث وقال أبو حيان يظهر أنهما جبلتان اعتبرت كل واحدة منهما على سبيل تواعد الصبيان الذي قبل كل واحدة منهما فتواعد على كونه عنيدا لا يات الله تعالى بارهاق صمود وعلى قوله ان القرآن سحر يؤثر باصلاء سقر وفيه بحث لا يخفى على من أحاط خبراً بما تقدم (وما أذرك ما سقر) أى أى نبي أعلمك ما سقر على أن ما الاول مبتدأ وأدراك خبره وما الثانية خبر لانها مفيدة لما قصد افادته من التهويل والنفطع ومقر مبتدأ أى أى نبي هي في رصفها فان ما قد يطالب بها الوصف وان كان الغالب ان يطلب بها الاسم والحقيقة وقوله سبحانه (لا تبقى ولا تذر) بيان لوصفها وحالها فالجمل مفسرة او مستأنفة من غير حاجة الى جعلها خبر مبتدأ محذوف وقيل حال من سقر والعامل فيها معنى التعظيم اى اعظم سقر واهول امرها حال كونها لا تبقى الخ وليس بذلك اى لا تبقى شيئا يلقي فيها الا اهلكته واذا هلك لم تذر هالكا حتى يعاد وقال ابن عباس لا تبقى اذا اخذت فيهم لم تبق منهم شيئا واذا بدلوا خلقا جديدا لم تذر ان تعاودهم سبيل العذاب الاول وروى نحوه عن الضحاك بزيادة ولكل شئ فترة وملاة الاجهيم وقيل لا تبقى على شئ ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة وقال السدي لا تبقى لهم لحما ولا تذر عظما وهو دون ما تقدم (أو آفة للبشر) قال ابن عباس ومجاهد وأبو رزين والجمهور أى مفسرة للبعثات مسودة للجلود وفي بعض الروايات عن بعض بزيادة محرقة والمراد في الجملة فلوحة من لوحته الشمس اذا سودت ظاهره وأطرافه قال

تقول ما لاحك يا مسافر يا ابنة عمى لاحى الهواجر

والبشر جمع بشرة وهي ظاهر الجلد وفي بعض الآثار أنها تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد سوادا من الليل واعترض بأنه لا يصح وصفها بتسويد الظاهر للجلود مع قوله سبحانه لا تبقى ولا تذر الصريح في الاحراق وأجيب بأنها في أول الملاقاة تسوده ثم تحرقه وتهاك أو الاول حالها مع من دخلها وهذا حالها مع من يقرب منها وأنت تعلم أنه اذا قيل لا يحسن وصفها بتسويد ظاهر الجلد بعد وصفها بأنها لا تبقى ولا تذر لم يحسن هذا الجواب وقد يجاب حينئذ بان المراد ذكر أوصافها المهولة الفظيمة من غير قصد الى ترق من فظيخ الى أفظع وكونها لوحة وصف من أوصافها ولعله باعتبار أول الملاقاة وقيل الاهلاك وفي ذكره من التفطيع ما فيه لما أن في تسويد الجلود مع قطع النظر عما فيه من الايلام تشويها للاحق ومثله للشخص فهو من قبيل التميم وفي استلزام الاهلاك تسويد الجلود تردد وان قيل به فتدبر وجوز على تفسير لوحة بما ذكر كون البشر اسم جنس بمعنى الناس ويرجع المعنى الى ما تقدم وقال الحسن وابن كيسان والاصم لوحة بناء مبالغة من لاح اذا ظهر والبشر بمعنى الناس أى تظهر للناس لعظمها وهولها كما قال تعالى وبرزت العجيم ان يرى وقد جاء أنها تظهر لهم من مسيرة خمسمائة عام ورفع لوحة على أنه خبر مبتدأ محذوف أى هي لوحة وقرأ عطية العوفي وزيد بن علي والحسن وابن أبي عمير لوحة بالنصب على الاختصاص للتهويل أى أحص أو أعنى وجوز أن يكون حالا مؤكدة من ضمير تبقى أو تذر بناء على زعم الاستلزام وأن يكون حالا من سقر والعامل ما مر (عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ) الظاهر ملكا ألا ترى العرب وهم

الفصحاء كيف فهموا منه ذلك فقد روى عن ابن عباس أنها لما نزلت عليها تسعة عشر قال أبو جهل لقريش نكلتكم أمهاتكم أسمع أن ابن أبي كبة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدم أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فقال له أبو الأشد بن أسيد بن كعدة الجمحي وكان شديد البطش أنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين فانزل الله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَذَكَّةً﴾ أي ما جعلناهم رجالا من جنسكم يعاقبون وأنزل سبحانه في أبي جهل أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى والظاهر أن المراد بأصحاب النار هم التسعة عشر ففيه وضع الظاهر موضع الضمير وكأن ذلك لما في هذا الظاهر من الإشارة الى أنهم المدبرون لامرها القائمون بتعذيب أهلها ما ليس في الضمير وفي ذلك ايذان بان المراد بسقر النار مطلقا لا طبقة خاصة منها والجمهور على أن المراد بهم النقباء فتنى كونهم عليها أنهم يتولون أمرها واليهم جماع زبائنها والا فقد جاء يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها وذهب بعضهم الى أن التمييز المحذوف صنف وقيل صف والاصل عليها تسعة عشر صنفا أو عليها تسعة عشر صنفا ويعدده ما تقدم في رواية الجبر وكذا قوله تعالى ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ فان المتبادر أن افتتاحهم باستقلالهم لهم واستبعادهم تولى تسعة عشر لتعذيب أكثر الثقلين واستهزائهم بذلك ومع تقدير الصنف أو الصف لا ينسئ ذلك وقال غير واحد في تعديل جعلهم ملائكة ليخالفوا جنس المصديبين فلا يرقوا لهم ولا يستروحوا اليهم ولأنهم أقوى الخلق وأقومهم بحق الله تعالى وبالغضب له سبحانه وأشدهم بأسا وفي الحديث كأن أعينهم البرق وكان أفواههم الصياحى يجرون أشعارهم لهم مثل قوة الثقلين يقبل أحدهم بالامة من الناس يسوقهم على رقبة جبل حتى يرمى بهم في النار فيرمى بالجبل عليهم ولا يبعد أن يكون في التنوين إشعار الى عظم أمرهم ومعنى قوله تعالى وما جعلنا عدتهم الى آخره على ما اختاره بعض الاجلة وما جعلنا عدد اصحاب النار الا العدد الذي اقتضى فتنة الذين كفروا بالاستقلال والاستهزاء وهو التسعة عشر فكان الاصل وما جعلنا عدتهم الا تسعة عشر فغير بالائر وهو فتنة الذين كفروا عن المؤثر وهو خصوص التسعة عشر لانه كما علم السبب في افتتاحهم وقيل الا فتنة للذين بدل الا تسعة عشر تنبيها على أن الاثر هنا لعدم انفكاكه عن مؤثره لتلازمهما كانا كشيء واحد يعبر باسم أحدهما عن الآخر ومعنى جعل عدتهم المطلقة العدة المخصوصة أن يخبر عن عددهم بانه كذا اذ الجمل لا يتماق بالعدة انما يتعلق بالمدود فالمدنى أخبرنا أن عدتهم تسعة عشر دون غيرها ﴿لَيْسَتَيْنِ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ أي ليكنسبوا اليقين بنبوته صلى الله تعالى عليه وسلم وصدق القرآن لاجل موافقة المذكورين ذكرهم في القرآن بهذا العدد وفي الكتابين كذلك وهذا غير جمل الملائكة على العدد المخصوص لانه ايجاد ولا يصح على ما قال بعض المحققين أن يجعل ايجادهم على الوصف علة للاستيقان المذكور لانه ليس الا للموافقة وتكاف بعضهم لتصحيحه بان ايجاد سبب للاخبار والاختبار سبب للاستيقان فهو سبب بعيد له والشئ كما يسند لسببه البعيد يسند لسببه القريب لكنه كما قل لا يحسن ذلك وانما احتيج الى التأويل بالتعبير بالائر عن المؤثر ولم يبق الكلام على ظاهره لان الجمل من دواخل المتبادر والخبر فما يترتب عليه يترتب باعتبار نسبة أحد النسويين الى الآخر كقولك جمات الفضة خاتما لتزين به وكذلك ما جملت الفضة الا خاتما لكذا ولا معنى لترتب الاستيقان وما بعده على جعل عدتهم فتنة للكفار ولا مدخل لافتنائهم بالعدد المخصوص في ذلك وانما الذي له مدخل العدة بنفسها أي العدة باعتبار أنها العدة المخصوصة والاخبار بها كما سمعت وليس ذلك تحريفا لكتاب الله تعالى ولا مبنيا على رعاية مذهب باطل كما توهم ومنهم من تكلف لامر السببية على الظاهر بما تمجه

الاصحاح فلانسود به الرفاع وفي البحر ليستيقن مفعول من أجله وهو متعلق بجملة لا بفتنة فليست الفتنة معلولة للاستيقان بل المعلوم جعل العدة سبب الفتنة وفي الاتصاف يجوز أن يرجع قوله تعالى ليستيقن الى ما قبل الاستثناء أى جملة عدتهم سببا لفتنة الكفار ويقين المؤمنين وذكر الامام في ذلك وجهين الثانى ما قدمناه مما اختاره بعض الاجلة والاول أن التقدير وما جملة عدتهم الا فتنة للكافرين والا ليستيقن الذين أوتوا الكتاب قال وهذا كما يقال فملت كذا لتعظيمك ولتحقير عدوك فالواو العاطفة قد تذكر في هذا الموضوع تارة وقد تحذف أخرى وقال بعض أنه متعلق بمحذوف أى فعلنا ذلك ليستيقن الخ والكل كما ترى وحمل الذين أوتوا الكتاب على أهل الكتابين مما ذهب اليه جمع وقيل المراد بهم اليهود فقد أخرج ابن أبى حاتم وابن مردويه والبيهقى في البعث عن البراء أن رهطا من اليهود سألوا رجلا من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم عن خزنة جهنم فقال الله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وسلم اعلم فجاه فاخبر النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فنزل عليه ساعتئذ عليها تسعة عشر وأخرج الترمذى وابن مردويه عن جابر قال قال ناس من اليهود لا ناس من أصحاب النبي صلى الله تعالى عليه وسلم هل يعلم نبيكم عدد خزنة جهنم فاخبروا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقال هكذا وهكذا في مرة عشرة وفي مرة تسعة واستشعر من هذا أن الآية مدنية لان اليهود انما كانوا فيها وهو استعمار ضعيف لان السؤال لصحابى فلهذا كان مسافر فاجتمع يهودى حيث كان وأيضا لا مانع اذ ذلك من اثبات بعض اليهود نحو مكة المكرمة ثم ان الخبرين لا يمتنان حمل الموصول على اليهود كما لا يخفى فالاولى ابقاء التعريف على الجنس وشمول الموصول للفريقين أى ليستيقن أهل الكتاب من اليهود والنصارى (وَيَزِدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا) أى يزداد ايمانهم كيفية بما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك أو كية بانضمام ايمانهم بذلك الى ايمانهم بسائر ما أنزل (وَلَا يَرْتَابُ الَّذِينَ آمَنُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ) تأكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الايمان ونفى لما قد يعترى المستيقن من شبهة ما للفتنة عن بعض المقدمات أو طريان ما توهم كونه معارضا في أول وهلة ولما فيه من هذه الزيادة جاز عطفه على المؤكد بالواو لتغايرهما في الجملة وإنما لم ينظم المؤمنون في سلك أهل الكتاب في نفى الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبية على تباين النفيين حالافان انتقاء الارتياب من أهل الكتاب مقارنة لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارنة لما يقتضيه من الايمان وكما بينهما وقيل انما لم يقل ولا يرتابوا بل قيل ولا يرتاب الخ للتصيص على تأكيد الامرين لاحتمال عود الضمير في ذلك على المؤمنين فقط والتعبير عن المؤمنين باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبثة عن الحدوث للايدان بشياتهم على الايمان بعد ازديادهم ورسوخهم في ذلك (وَيَقُولُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) أى شك أو نفاق فيكون بناء على أن السورة بتناميكية والنفاق انما حدث بالمدينة اخبارا عما سيحدث من المغييات بعد الهجرة (وَالْكَافِرُونَ) المصرون على التكذيب (مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهِذَ امْتِثَالًا) أى أى نوى أراد الله تعالى أو ما الذى اراده الله تعالى بهذا العدد المستغرب استغراب المثل وعلى الاول ماذا منزلة منزلة اسم واحد للاستفهام في موضع نصب باراد وعلى الثانى هى مؤلفة من كلمة ما اسم استفهام مبتدا وذا اسم موصول خبره والجملة بعد صلة والعائد فيها محذوف ومثلا نصب على التمييز أو على الحال كما في قوله تعالى هذه ناقة الله لكم آية والظاهر أن ألفاظ هذه الجملة من المحكى وغنوا بالاشارة التحقير وغرضهم نفى أن يكون ذلك من عند الله عز وجل على أبلغ وجهلا

الاستفهام حقيقة عن الحكمة ولا القدح في اشبهها عليها مع اعترافهم بصدور الاخبار بذلك عنه تعالى وجوز أن يكون أراد الله من الحكاية وهم قالوا ماذا أريد ونحوه وقيل يجوز أن يكون المثل بمناء الآخر وهو ما شبه مضربه بمورده بأن يكونوا قد عدوه لاستعراجه مثلا مضروباً ونسبوه اليه عز وجل استهزا ومتهكما وفراد قوله بهذا التمليل مع كونه من باب فتنتهم قيل للاشمار باستقلاله في الشناعة وفي الحوائى الشهابية أما أعيد اللام فيه للفرق بين العائين اذ مرجع الاولى الهداية المقصودة بالذات ومرجع هذه الضلال المقصود بالعرض الناشئ من سوء صنيع الضالين وتعليل أفعاله تعالى بالحكم والمصالح جائز عند المحققين وجوز في هذه اللام وكذا الاولى كونها للعاقبة (كذلك يضل الله من يشاء) ذلك اشارة الى ما قبله من معنى الاضلال والهداية ومحل الكاف في الاصل النصب على انها صفة مصدر محذوف وأصل التقدير يضل الله من يشاء (ويهدى من يشاء) اضلالاً وهداية كائنين مثل ما ذكر من الاضلال والهداية فحذف المصدر وأقيم وصفه مقامه ثم قدم على الفعل لافادة القصر فصار النظم مثل ذلك الاضلال وتلك الهداية يضل الله تعالى من يشاء اضلاله لصرف اختياره حسب استعداده السيئ الى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات الله تعالى الناطقة بالهدى ويهدى من يشاء هدايته لصرف اختياره حسب استعداده الحسن عند مشاهدة تلك الآيات الى جانب الهدى لا اضلالاً وهداية أدنى منهما وبجوز أن تكون الاشارة الى ما بعد كما في قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطاً على ما حقق في موضعه (وما يعلم جنود ربك) جمع جنود اشهر في العسكر اعتباراً بالغلظة من الجنود أى الارض الفليضة التى فيها حجارة ويقال لسكل جمع أى وما يعلم جموع خلقه تعالى التى من جعلها الملائكة المذكورون على ما علم عليه (الا هو) عز وجل اذ لا سبيل لاحد الى حصر الممكنات والوقوف على حقائقها ووصفاتها ولو اجمالاً فضلا عن الاطلاع على تفاصيل أحوالها من كم وكيف ونسبة وهو رد لاستهزائهم بكون الحزنة تسعة عشر لجهلهم وجه الحكمة في ذلك وقال مقاتل هو جواب لقول أبى جهل أما لرب محمد أعوان الا تسعة عشر وحاصله انه لما قلل الاعوان أجيب بانهم لا يحصون كثرة انما الموكلون على النار هؤلاء المحصورون لا ان المنى ما يعلم بقوة بطش الملائكة الا هو خلافاً للطبي فان اللفظ غير ظاهر الدلالة على هذا المنى واختلف في أكثر جنود الله عز وجل فقيس الملائكة لجنر أطت السماء وحق لها ان تظ ما فيها موضع قدم الا وفيه ملك قائم او راكع او ساجد وفي بعض الاخبار ان مخلوقات البر عشر مخلوقات البحر والمجموع عشر مخلوقات الجو والمجموع عشر ملائكة السماء الدنيا والمجموع عشر ملائكة السماء الثانية وهكذا الى السماء السابعة والمجموع عشر ملائكة الكرسي والمجموع عشر الملائكة الحافين بالعرش والمجموع اقل قليل بالنسبة الى ما لا يعلمه الا الله وقيل المجموع اقل قليل بالنسبة الى الملائكة المهيمين الذين لا يعلم احدهم ان الله تعالى خلق احداً سواه والمجموع اقل قليل بالنسبة الى ما يعلمه سبحانه من مخلوقاته وعن الأوزاعي قال قال موسى عليه السلام يارب من معك في السماء قال ملائكتى قال كم عدتهم قال اثنا عشر سبطاً قال كم عدة كل سبط قال عدد التراب وفي نسخة هذا نظروا نصح فصدروه من المتشابه وأنا لأجزم باكثرية صنم فما يعلم جنود ربك الا هو ولم يصح عندي نص في ذلك بيد أنه يغلب على الظن ان الاكثر الملائكة عليهم السلام وهذه الآية وأمثالها من الآيات والاخبار تشجع على القول باحتمال أن يكون في الاجرام الملوية جنود من جنود الله تعالى لا يعلم حقائقها وأحوالها الا هو عز وجل ودائرة ملك الله جل جلاله أعظم من أن يحيط بها نطاق الحصر أو يصل الى مركزها طائر الفكر قانى وهيئات ولو استقرت القوى والاقوات هذا واختلف في الخصاص لهذا العدد

أعنى تسعة عشر فقيل ان اختلاف النفوس البشرية في النظر والعمل بسبب القوى الحيوانية الاتية عشرة يعنى الحواس الخمسة الباطنة والحواس الخمسة الظاهرة والقوة الباعثة كالفضية والشهوية والقوة المحركة فهذه اثنتا عشرة والطبيعية السبع التي ثلاث منها مخدومة وهي القوة النامية والغادية والمولدة وأربع منها خادمة وهي الهاضمة والجاذبة والدافعة والماسكة وهذا مع ابتناؤه على الفلسفة لا يكاد يتم كما لا يخفى على من وقف على كتبها وقيل ان لجهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفار وكل صنف يعذب بترك الاعتقاد والافرار والعمل أنواعا من العذاب تناسبها فيضرب الست في الثلاثة يحصل ثمانية عشر وعلى كل نوع ملك أو صنف يتولاه وواحدة لعصاة الامة يعذبون فيها بترك العمل نوعا يناسبه ويتولاه ملك أو صنف وبذلك تتم التسعة عشر. وخصت ست منها باصناف الكفار وواحدة باصناف الامة ولم يجعل تعذيب الكفار في خمس منها فيبقى للمؤمنين اثنتان احدهما لاهل الكبائر والاخرى لاهل الصفات أو احدهما للعصاة منهم والاخرى للعاصيات لانه حيث أعدت النار للكافرين أولا وبالذات ناسب ان يستغرقوها كلية ويوزعوا على جميع أماكنها بقدر ما يمكن لكن لما تعلققت ارادته سبحانه بتعذيب عصاة الامة بها أفرزت واحدة منها لهم وقيل ان الساعات أربع وعشرون خمسة منها مصروفة للصلاة فلم يخلق في مقابلهما زيادة لبركة الصلاة الشاملة ان لم يصل فيبقى تسعة عشر وقيل ان لجهنم سبع دركات ست منها لاصناف الكفار وللاعتناء بامر عذابهم واستمراره ناسب أن يقوم عليه ثلاثة واحد في الوسط واثان في الطرفين فهذه ثمانية عشر وواحدة منها لعصاة المؤمنين ناسب أمر عذابهم ان يقوم عليه واحد وبه تتم التسعة عشر وقيل ان العدد على وجهين قليل وهو من الواحد الى التسعة وكثير وهو من العشرة الى مالا نهاية فجمع بين نهاية القليل وبداية الكثير وقيل غير ذلك والذي مال اليه أكثر العلماء ان ذلك مما لا يعلم حكمته على التحقيق الا الله عز وجل وهو كالمتشابه يؤمن به ويفوض علمه الى الله تعالى وكل ما ذكر مما لا يعمل عليه كما لا يخفى على من وجه أدنى نظره اليه والله تعالى الهادي لصواب الصواب والمتفضل على من شاء يعلم لاشك معه ولا ارتياب وقرأ ابو جعفر وطاحه بن سليمان تسعة عشر باسكان العين وهو لغة فيه كراهة وتوالي الحركات فيما هو كاسم واحد وقرأ انس بن مالك وابن عباس وابن قطب وابراهيم بن قتيبة تسعة بضم التاء وهي حركة بناء عدل اليها عن الفتح لتوالي خمس فتحات ولا يتوهم انها حركة اعراب والاعراب عشر وقرأ انس ايضا تسعة بالضم أعشر بالفتح قال صاحب اللوامح فيجوز انه جمع العشرة على أعشر ثم اجراء مجرى تسعة عشر وعنه ايضا تسعة وعشر بالضم وقلب الهمزة واوا خالصة تخفيفا والتاء فيهما مضمومة ضمة بناء لما سمعت أنفا وعن سليمان بن قتيبة وهو اخو ابراهيم انه قرأ تسعة أعشر بضم التاء ضمة اعراب والاضافة الى اعشر وجره منونا وهو على ما قال صاحب اللوامح جمع عشرة وقد صرح بان الملائكة على القراءة بهذا الجمع معربا او مبنيًا تسعون ملكا وقال الزمخشري جمع عشر مثل يمين وأيمن وروى عنه انه قال اي تسعة من الملائكة كل واحد منهم عشر فهم مع اشياعهم تسعون والعشير بمعنى العشر فدل على ان التثنية تسعة وتعقب بان دلالة على هذا المعنى غير واضحة ولهذا قال ابن جنى لأوجه لتلك القراءة الا ان يعنى تسعة اعشر جمع العشير وهم الاصدقاء فليراجع (وما هي) اي سفر كما يقتضيه كلام مجاهد (إلا ذكري للبشر) الا تذكرة لهم والمطف قيل على قوله تعالى سأصليه سفر وما جعلنا اصحاب النار الى هنا اعتراض ووجهه انه لما قيل عليها تسعة عشر زيادة في تهويل امر جهنم عقب بما يؤكدهم وتسلطهم وتبينهم بالشدة عن سائر مخلوقات ثم بما يؤكده الكمية وما أكد المؤكد فهو مؤكد ايضا وقيل

الضمير للآيات الناطقة باحوال سقر وقيل لعدة خزنتها والتذكير والعظة فيها من جهة ان في خلقه تعالى ما هو في غاية العظمة حتى يكون القليل منهم معذبا ومهلكا لما لا يحصى دلالة على انه عز وجل لا يقدر حق قدره ولا توصف عظمته ولا تصل الافكار الى حرم جلاله وقيل الضمير للجنود وقيل لنار الدنيا وهذا أضعف الاقوال وأقواها على ما قيل ماتقدم وبين البشر ههنا والبشر فيما سبق أعنى قوله تعالى لواحة للبشر على على تفسير الجمهور تجنيس تام لفظي وخطي وقل من تذكر له (كَلَا) ردع لمن أنكرها وقيل زجر عن قول أبي جهل وأصحابه أنهم يقدرون على مقاومة خزنة جهنم وقيل ردع عن الاستهزاء بالعدة المخصوصة وقال الفراء هي صلة للقسم وقدرها بعضهم بحقاً وبعضهم بألا الاستفتاحية وقال الزمخشري انكار بعد ان جعلها سبحانه ذكرى أن يكون لهم ذكرى وتمتبه أبو حيان بانه لا يسوغ في حقه تعالى أن يخبر أنها ذكرى للبشر ثم ينكر ان يكون لهم ذكرى وأجيب بانه لا تنافض لان معنى كونها ذكرى ان شأنها أن تكون مذكورة لكل أحد ومن لم يتذكر نغلبة الشقاء عليه لا يمد من البشر ولا يلتفت لعدم تذكره كما ان حلوة العسل لا يضرها كونها مرة في فم منحرف المزاج المحتاج الى العلاج وحال حسن الوقف على كلا وعدم حسنه هنا يعلم من النظر الى المراد بها وصرح بعضهم بذلك فقال ان كانت متعلقة بالكلام السابق يحسن الوقف عليها وان كانت متعلقة بالكلام اللاحق لا يحسن ذلك أي كما اذا كانت بمعنى ألا الاستفتاحية فالوقت حينئذ تام على للبشر ويستأنف كلا ﴿ وَالْقَمَرَ وَاللَّيْلَ إِذَا دَبَّرَ ﴾ أي ولي وقرأ ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وعطاء وابن يعمر وأبو جعفر وشيبة وأبو الزناد وقتادة وعمر بن عبد العزيز والحسن وطلحة والنحويان والابن انان وأبو بكر اذا ظرف زمان مستقبل دبر بفتح الدال وهو بمعنى ادبر المزيد كقبل وأقبل والمعروف المزيد وحسن الثلاثي هنا مشاكلة أكثر الفواصل وقيل دبر من دبر الليل النهار اذا خلفه والتعبير بالماضي مع اذا التي للمستقبل للتحقيق ويجوز ان يقال انها قلبه مستقبلا وقرأ أبوورزين وأبو رجاء والاعمش ومطر ويونس بن عبيد وهي رواية عن الحسن وابن يعمر والسلمي وطلحة اذا بالالف ادبر بالهمز وكذا هو في مصحف عبد الله وأبي وهو أنسب بقوله تعالى ﴿ وَالصُّبْحَ إِذَا أَسْفَرَ ﴾ أي أضاء وانكشف على قراءة الجمهور وقرأ ابن السميع وعيسى بن الفضل سفر ثلاثيا وفسر بطرح الظلمة عن وجهه ﴿ إِنَّهَا لِأَحَدِي السُّكْبَرِ ﴾ جواب للقسم وجوز أن يكون كاردعا لمن ينكر ان تكون احدى الكبرى لما علم من ان ان واللام من الكلام الانكاري في جواب منكر مصر وهذا تعليل لسكلا والقسم مقترض للتأكد لا جواب له أو جوابه مقدر يدل عليه كلا وفي التعليل نوع خفاء فتأمل وضمير أنها لسقر والكبر جمع الكبرى جعلت ألف التانيث كتابتها فكما جمعت فملة على فعل جمعت فملى عليها ونظيرها السواقي في جمع السافياء والقواصع في جمع القاصماء فان فاعلة تجمع على فواعل باطراد لافاعلاء لكن حمل فاعلاء على فاعلة لا شتر الكالاف والتاء في الدلالة على التانيث وضما فجمع فيهما على فواعل وقول ابن عطية الكبر جمع كبيرة وهم كما لا يخفى أي ان سقر لاحدى السواهي الكبر على معنى ان البلايا الكبيرة كثيرة وسقر واحدة منها قيل فيكون في ذلك اشارة الى أن بلاهم غير محصور فيها بل تحمل بهم بلايا غير متاهية أو ان البلايا الكبيرة كثيرة وسقر من بينهم واحدة في العظم لا نظير لها وهذا كما يقال فلان أحد الاحدين وهو واحد الفضلاء وهي احدى النساء وعلى هذا اقتصر الزمخشري ورجح الاول بانه انسب بالمقام ولعله لما تضمن من الاشارة وقيل المعنى انها لاحدى دركات النار الكبرى السبع لانها جهنم ولفظي والحطمة وسقر والسير والجحيم والهاوية ونقل عن صاحب التيسير وليس بذلك ايضا وقيل ضمير أنها يحتمل ان يكون للتذارة وامر الآخرة قال في البحر فهو لالحال

والقصة وقيل هو للساعة فيعود على غير المذكور وقرأ نصر بن عاصم وابن محيصن ووهب بن جرير عن ابن كثير لحدى الكبر بحذف همزة احدى وهو حذف لا يتقاس وتخفيف مثل هذه الهمزة ان تجعل بين يمين (نَذِيرًا لِلْبَشَرِ) قيل تمييز لاحدى الكبر على أن نذيراً مصدر بمعنى انذاراً كالنكير بمعنى الانكار اى انها لاحدى الكبر انذارا والمعنى على ما سمعت عن الزمخشري انها لا عظم الدواهي انذارا وهو كما نقول هي احدى النساء عفاً وقال الفراه هو مصدر نصب باضمار فعل اى انذر انذاراً وذهب غير واحد الى انه اسم فاعل بمعنى منذرة فقال الزجاج حال من الضمير في انها وفيه محيى الحال من اسم ان وقيل حال من الضمير في لاحدى واختار ابو البقاء كونه حالاً مما دلت عليه الجملة والتقدير عظمت او كبرت نذيراً وهو على ما قال ابو حيان قول لا بأس به وجوزت هذه الأوجه على مصدرية ايضا بتاويله بالوصف وقال النحاس حذف الهاء من نذيراً وان كان للنار على معنى النسب يعنى ذات انذار وقد يقال في عدم الحاق الهاء فيه غير ذلك مما قيل في عدم الحاقها في قوله تعالى ان رحمة الله قريب من المحسنين وقال أبو رزين المراد بالنذير هنا هو الله تعالى فهو منصوب باضمار فعل أى ادع نذيراً أو نحوه وقال ابن زيد المراد به انبيى صلى الله تعالى عليه وسلم قيل فهو منصوب باضمار فعل أيضاً أى ناد أو بلغ أو أعلن وهو كما ترى ولو جعل عليه حالاً من الضمير المستتر في الفعل لكان أولى وكذا لو جعل منادى والكلام نظير قولك ان الامر كذا يافلان وقيل انه على هذا حال من ضمير قم أول السورة وفيه خرم النظم الجليل ولذا قيل هو من بدع التفاسير وقرأ أبو ابن أبي عتبة نذير بالرفع على انه خبر بعد خبر لان أو خبر لمبتدا محذوف أى هي نذير على ما هو الموعول عليه من انه وصف النار وأما على القول بانه وصف الله تعالى أو الرسول عليه الصلاة والسلام فهو خبر محذوف لا غير أى هو نذير (لَمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ) الجار والمجرور يدل من الجار والمجرور فيما سبق أعنى البشر وضمير شاه الوصول أى نذيراً للمتمكنين منكم من السابق الى الخير والتخلف عنه وقال السدى ان يتقدم الى النار المتقدم ذكرها أو يتأخر عنها الى الجنة وقال الزجاج ان يتقدم الى المأمورات أو يتأخر عن المنهيات وفسر بعضهم التقدم بالايمان والتأخر بالكفر وقيل ضمير شاه الله تعالى أى نذير لمن شاء الله تعالى منكم تقدمه أو تأخره وجوز ان يكون لمن خبراً مقدماً وان يتقدم أو يتأخر مبتداً كقولك لمن توضع ان يصلى ومنه مطلق لمن شاء التقدم أى السابق الى الخير أو التأخر أى التخلف عنه ان يتقدم ويتأخر فيكون كقوله تعالى فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ولا يخفى ان اللفظ يحتمله لكنه بعيد جداً (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ) مرهونة عند الله تعالى بكسبها والرهينة مصدر بمعنى الرهن كالشئمة بمعنى الشتم لاصفة والا لقبيل رهين لان فعلاً بمعنى مفعول لا يدخله اتاه ويستوى فيه المذكر والمؤنث ومنه قول عبد الرحمن بن زيد وقد قتل أبوه وعرض عليه سبع ديات فأبى ان يأخذها

أبعد الذى بالنف نعت كويكب ☽ رهينة رمس ذى تراب وچندل

أذكر بالبقيا على من أصابنى ☽ وبقياى انى جاهد غير مؤنث

واختير على رهين مع موازنته لليمين وعدم احتياجه للتأويل لان المصدر هنا يبلغ فهو انسب بالمقام فلا يلتفت للغناسة اللفظية فيه وقيل الهاء في رهينة للعبارة واختار أبو حيان انها مما غلب عليه الاسمية كالنطيحة وان كانت في الاصل فعلاً بمعنى مفعول وهو وجه أيضاً وادعى ان التأنيث في البيت على معنى النفس (إلا أصحاب اليمين) وهم المسلمون المخلصون كما قال الحسن وابن كيسان والضحاك ورواه ابن المنذر عن ابن عباس فانهم ما كون رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم كما يفك الرهن رهنه باداء الدين

وأخرج ابن المنذر وابن جرير وجماعة عن علي كرم الله تعالى وجهه أنهم أطفال المسلمين وأخرجوه أيضا عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما ونقل بعضهم عن ابن عباس أنهم الملائكة فانهم غير مرهونين بديون انتكاف كالاطفال وتمقب بان اطلاق النفس على الملك غير معروف وبأنهم لا يوصفون بالكسب أيضا على ان الظاهر سباقا وسباقا ان يرادهم طائفة من البشر المكلفين والكثير على تفسيرهم بما سمعت وقيل هم الذين سبقت لهم من الله الحنن وقيل الذين كانوا عن يمين آدم عليه السلام يوم الميثاق وقيل الذين يعطون كتبهم بأيديهم ولا تدافع بين هذه الاقوال كما لا يخفى والاستثناء على ما تقدم وكذا هذه الاقوال متصل وأما على قول الامير كرم الله تعالى وجهه وما نقل عن ابن عمه فقال أبو حيان هو استثناء منقطع وقيل يجوز الاتصال والانقطاع بناء على ان الكسب مطلق العمل أو ما هو تكليف فلا تنفل (في جنات) خبر مبتدا محذوف والتوين لتنظيم والجملة استئناف وقع جواب عن سؤال نشأ مما قبله من استثناء أصحاب اليمين كما قيل ما بالهم فقيل هم في جنات لا يكتبه كتبها ولا يدرك وصفها وجوز أن يكون الظرف في موضع الحال من أصحاب اليمين أو من ضميرهم في قوله تعالى (يَسْأَلُونَ) قدم للاعتناء مع رعاية الفاصلة وقيل ظرف للتساؤل وليس المراد بتساؤلهم أن يسأل بعضهم بعضا على أن يكون كل واحد منهم سائلا ومسؤلا معا بل وقوع السؤال منهم مجردا عن وقوعه عليهم فان صيغة التفاعل وان وضعت في الاصل للدلالة على صدور الفعل عن المتعدى ووقوعه عليه مما بحيث يصير كل واحد من ذلك فاعلا ومفعولا معا كما في قولك تشاتم القوم أى شتم كل واحد منهم الآخر لكنها قد تجرد عن المعنى الثانى ويقصد بها الدلالة على الاول فقط ويكون الواقع عليه شيئا آخر كما في قولك تراه والهلل قال جابر الله اذا كان المتكلم مفردا يقول دعوتاه واذا كان جماعة يقول تداعيناه ونظيره رميته وتراميناه ورأيت الهلال وتراميناه ولا يكون هذا التفاعل من الجائزين وعلى هذا فالمسؤل محذوف أعنى المجرمين والتقدير يتسألون المجرمين عنهم أى يسألون المجرمين عن أحوالهم فقير الى ما في النظم الجليل وقيل يتسألون (عن المجرمين) والمعنى على ذلك وحذف المسؤل لكونه غير المسئول عنه وقوله تعالى ﴿ مَا سَأَلْتُمْ لَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴾ بيان للتساؤل من غير حاجة الى اضمار قول أو هو مقدر بقول وقع حالا من فاعل يتسألون أى يسألونهم قائلين أى شئ أدخلكم في سقر وقيل المسؤل غير المجرمين كجماعة من الملائكة عليهم السلام وما سلككم الخ حكاية قول المسؤلين عنهم أى اسأل أصحاب اليمين الملائكة عن حال المجرمين قالوا لهم نحن سالنا المجرمين عن ذلك وقلنا لهم ما سلككم في سقر الى الآخر وكان يكفيهم أن يقولوا حالهم كيت وكيت لكن أنى بالجواب مفعلا حسب ما سأله ليكون أثبت للصدق وأدل على حقيقة الامر ففي الكلام حذف واختصار وجوز أن تكون صيغة التفاعل على حقيقتها أى يسأل بعضهم بعضا عن المجرمين وما سلككم حكاية قول المسؤل عنهم أيضا ولا يخفى ما في اعتبار الحكاية من التكلف فليس ذلك بالوجه وان كان الايجاز نهج التنزيل والحذف كثيرا في كلامه تعالى الجليل والظاهر أن السؤال سؤال توبيخ وتحسير والا فهم علمون ما الذى أدخلهم النار ولو كانوا الاطفال فيما أظن لا يكشف الامر ذلك اليوم وروى عبد الله بن أحمد وجماعة عن ابن الزبير أنه يقرأ يتسألون عن المجرمين يا فلان ما سلككم ورويت عن عمر أيضا وأخرج أبو عبيد وابن المنذر عن ابن مسعود أنه قرأ يا أيها الكفار ما سلككم في سقر (قالوا) أى المجرمون محيين لسائلين (أم نك من المصلين) للصلاة الواجبة (وأم نك نطمم المسكرين) أى نهطيهما ما يجب اعطاهما والمعنى على استمرار التنبى لاننى الاستمرار واستدل بالآية

على ان الكفار مخاطبون بفروع العبادات لانهم جعلوا عذابهم ترك الصلاة فلو لم يخاطبوا بها لم يؤخذوا وتفصيل المسئلة في الاصول وتمقب هذا الاستدلال بأنه لاخلاف في المؤاخذه في الآخرة على ترك الاعتقاد فيجوز أن يكون المعنى من المعتدين للصلاة ووجوبها فيكون العذاب على ترك الاعتقاد وأيضا المصلين يجوز ان يكون كناية عن المؤمنين وأيضا ذلك من كلام الكفرة فيجوز كذبهم أو خطوهم فيه وأجيب بأن ذلك عدول عن الظاهر بأباه قوله تعالى ولم نك نطمح والمقصود من حكاية السؤال والجواب التحذير فلو كان الجواب كذبا أو خطأ لم يكن في ذكره فائدة ﴿ وَكُنَّا نَخْرُصُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴾ أى نشرع في الباطل مع الشارعين فيه والخوض في الاصل ابتداء الدخول في الماء والمرور فيه واستعماله في الشروع في الباطل من المجاز المرسل أو الاستمارة على ماقرروه في المشفر ونحوه وعن بعضهم انه امم غالب في الشر وأكثر مااستعمل في القرآن بما يذم الشروع فيه وأريد بالباطل مالا ينبغى من القول والفعل وعد من ذلك حكاية مايجرى بين الزوجين في الخلوة مثلا وحكاية أحوال الفسقة باقسامهم على وجه الاتذاع والاستئناس بها ونقل الحروب التي حرت بين الصحابة رضى الله تعالى عنهم لغير غرض شرعى بل لمجرد أن يتوصل به الى طعن وتقيص والتكلم بالكلمة يضحك بها الرجل جلساه سواء كانت مباحة في نفسها أم لا نعم التكلم بالكلمة المحرمة لذلك باطل على باطل الى غير ذلك مما لا يحصى وكان ذكر مع الخائضين اشارة الى عدم اكرامهم بالباطل ومبالاتهم به فكانهم قالوا وكنا لانبالي بباطل ﴿ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الدِّينِ ﴾ أى بيوم الجزاء أضافوه الى الجزاء مع ان فيه من الدواهي والاهوال مالا غاية له لانه أدهاها وأهولها وأنهم ملابسوه وقدمضت بقية الدواهي وتأخير جنابهم هذه مع كونها أعظم من السكل لتفخيمها كانهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم القيامة وليبان كون تكذبيهم به مقارنا لسائر جناباتهم الممدودة مستمرا الى آخر عمرهم حسبنا نطق به قولهم ﴿ حَتَّى آتَيْنَا الْيَقِينَ ﴾ أى الموت ومقدماته كما ذهب اليه جل المفسرين وقال ابن عطية اليقين عندي حتما كانوا يكذبون به من الرجوع الى الله تعالى والدار الآخرة وقول المفسرين هو الموت متمقب عندي لان نفس الموت يقين عند الكافر وهو حى فلم يريدوا باليقين الا الله الذى كانوا يكذبون به وهم أحياء في الدنيا فتيقنوه بعد الموت انتهى وفيه نظر ثم الظاهر أن مجموع ما ذكروه سبب لدخول مجموعهم النار فلا يضر في ذلك ان من أهل النار من لم يكن وجب عليه اطعام مسكين كفقراء الكفرة المدميين وفي الكشف يحتمل الكلام أن يكون دخول كل منهم النار لمجموع الاربعة ويحتمل أن يكون دخول بعضهم لبعضها كان يكون ذلك لمجرد ترك الصلاة أو ترك الاطعام وفيه دسيسة اعتزال وهو تخليد مرتكب الكبيرة من المؤمنين كتارك الصلاة في النار وأنت تعلم ان الآية في الكفار لا في أعم منهم ﴿ فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴾ لو شفعموا لهم جميعا فالكلام على الفرض واشتهر انه من باب ﴿ ولا ترى الضب بها ينحجر ﴾ وحمل التعريف على الاستفراق أبلغ وأنسب بالمقام والفاء في قوله ﴿ فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذِكْرِ كَرَّةٍ مُّعْرِضِينَ ﴾ لترتيب انكار اعراضهم عن القرآن بقدر سب على ما قبلها من موجبات الاقبال عليه والانعاط به من سوء حال المكذبين ومعرضين حول لازمة من الضمير في الجار الواقع خبرا لما الاستفهامية أعنى لهم وهي المقصودة من الكلام وعن متعلقة بها وانتقيدم لانهية مع رعاية الفاصلة أى فاذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فأى شيء حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الاقبال عليه وتأخذ الدواعى الى الايمان به يجوز ان يراد بالتذكرة مايمع القرآن وما بعد يرجح الاول وهو مصدر بمعنى التذكير أطلق على ما ذكره مبالغة

وقوله تعالى (كَانَ نَهْمُ حَمْرٍ مُسْتَنْفِرَةٍ) حال من المستكن في معرضين بطريق التداخل والمخرج حمار والمراد به كما قال ابن عباس حمار الوحش لأنه بينهم مثل بالفار وشدة الفرار ومستنفرة من استنفر بمعنى نفر كمعجب واستمعجب كما قيل والاحسن ان استنفل للبالغه كان الحمر لشدة العدو وتطلب الفار من نفسها والمعنى مشبين بحمر نافرة جدا (فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ) أي أسدوهي فعولة من القسر وهو القمر والغلبة وأخرج ذلك ابن جرير وعبد بن حميد وغيرهما عن أبي هريرة وأخرجه ابن المنذر عن ابن عباس أيضاً بيد أنه قال هو بلسان العرب الاسد وبلسان الحبشة قسورة وفي رواية أخرى عنه انها الرجال الرماة القصص وروى نحوه عن مجاهد وعكرمة وابن جبير وعطاء بن أبي رباح وفي رواية أخرى عنه أخرجهما ابن عيينة في تفسيره أنه ركز الناس أي أصواتهم وعنه أيضاً جبال الصيادين وعن قتادة النبل وقال ابن الاعرابي وتعلب القسورة أول الليل أي فرت من ظلمة الليل وجهور الغويين على انه الاسد وأياما كان فقد شهبوا في اعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه من المواعظ وشرادهم عنه بحمر وحشية جدت في نفارها مما أفرعها وفي تشبيههم بالحمر مذمة ظاهرة وتهجين لخالهم بين كما في قوله سبحانه كمثل الحمار يحمل أسفارا أو شهادة عليهم بالبله وقلة العقل وقرأ الاعمش حر باسكان الميم وقد أ نافع وابن عامر والمفضل عن عاصم مستنفرة بفتح الفاء أي استنفرها فزعها من القسورة وفرت يناسب الكسر فعن محمد بن سلام قال سألت أبا سمرار الغنوي وكان اعرابيا فصيحاً فقلت كأنهم حمر ماذا فقال مستنفرة طردها قسورة ففتح الفاء فقلت انما هو فرت من قسورة قال أفرت قلت نعم قال فستنفرة اذن فكسر الفاء وقوله تعالى (بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يَأْتِيَ صُحُفًا مُنَشَّرَةً) عطاف على مقدر يقضيه المقام كأنه قيل لا يكتفون بتلك التذكرة ولا يرضون به بل يريد كل واحد منهم ان يوتى قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التي يتكاتب بها وجوز ان يراد كتباً كتبت في السماء وترلت بها الملائكة ساعة كتبت منشرة على أيديها غضرة طيبة لم تطو بعد وفيه بعد وذلك على الوجهين أنهم قالوا لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ان سرك ان نتابعك فأت كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين الى فلان بن فلان نؤمر فيها باتباعك فنزل ونحوه قوله تعالى لن نؤم لك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه وقال ولوتر لنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بأيديهم الآية وأخرج ابن جرير وابن المنذر عن السدي عن أبي صالح قال قالوا ان كان محمد صادقاً فليصبح تحت رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءة وامنة من النار وقبل كانوا يقولون بلقنا أن الرجل من بني اسرائيل كان يصح مكتوباً على رأسه ذنبه وكفارته فأتنا بمنزل ذلك وهذا من الصحف المنشرة بمنزل الا أن يراد بالصحف المنشرة الكتابات الظاهرة المكشوفة ونحوه ما روى عن أبي صالح فأتها الى واحد لاشتراكهما في أن المنشر لم يبق على أصله وان لكل صحيفة مخصوصة به اما لخلاصه من الذنب واما لوجه خلاصه فالمعول عليه مانقدم وهو مروى عن الحسن وقتادة وابن زيد وقرأ سعيد بن جبير صحفا باسكان الحاء منشرة بالتخفيف على أن أنشر الصحف ونشرها واحد كأنزله ينزله وفي البحر المحفوظ في الصحيفة والثوب نشر مخففا ثلاثياً ويقال في الميت أنشره الله تعالى ونشره ويقال أنشره الله تعالى فنشر هو أي أحياه فحي (كَلَّا) بدع عن ارادتهم تلك وزجر لهم عن اقتراح الآيات (بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ) فلذلك يعرضون عن التذكرة للامتاع ايتاء الصحف وحصول مقترحاتهم كما يزعمون وقرأ أبو حيوه يخافون بتاء الخطاب التفتاناً (كَلَّا) ردع لهم عن اعراضهم (إنه) أي القرآن أو التذكرة السابقة في قوله تعالى خالهم عن التذكرة معرضين وكذا الضمير الآتي وذكر لانه

بمعنى القرآن أو الذكر ﴿ تَذَكُّرًا ﴾ وأي تذكرة ﴿ فَمَنْ شَاءَ ﴾ ان يذكره ﴿ ذِكْرًا ﴾ وحاز بسببه سعادة الدارين والوقف على كلا على ما سمعت في الموضعين وعلى منسمة والآخرة ان جملة كما في الحواشي بمعنى الا ﴿ وَمَا يَذُكُّرُونَ ﴾ أى بمجرد مشيئتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى فمن شاء ذكره اذ لا تأثير لمشيئة العبد واراادته في أفعاله وهو قوله سبحانه ﴿ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ ﴾ استثناء مفرغ من أعم العلال أو من أعم الاحوال أى وما يذكرون بعلّة من العلال أو في حال من الاحوال الا بان يشاء الله تعالى أو حال ان يشاء الله ذلك وهذا تصريح بان أفعال المباد بمشيئة الله عز وجل بالذات أو بالواسطة فيه رد على المعتزلة وحملهم المشيئة على مشيئة القسر والالجاه خروج عن الظاهر من غير قسر والجاه وقرأ نافع وسلام ويعقوب تذكرون بتاء الخطاب التفتا مع اسكان الذال وروى عن أبي حنيفة يذكرون بياء القية وشذ الذال وعن أبي جعفر تذكرون بالنساء الفوقية وادغامها في الذال ﴿ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى ﴾ حقيق بان يتقى عذابه ويؤمن به ويطاع فالتقوى مصدر المبنى للمفعول ﴿ وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ ﴾ حقيق بان يغفر جل وعلا لمن آمن به واطاعه فالمغفرة مصدر المبنى للفاعل وأخرج أحمد والترمذى وحسنه والحاكم وصححه والنسائى وابن ماجه وخلق آخرون عن انس ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قرأ هذه الآية هو أهل التقوى وأهل المغفرة فقال قد قال ربكم أنا أهل أن اتقى فلا يجعل معى اله فن اتقانى فلم يجعل معى الها آخر فانا أهل ان اغفر له وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن دينار عن أبي هريرة وابن عمر وابن عباس مرفوعا ما يقرب من ذلك وفي حديث أخرجه الحكيم الترمذى في نوادر الاصول عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول الله تعالى انى لا جدنى استحقى من عبدى يرفع يديه الى ثم يردهما من غير مغفرة قالت الملائكة الهنا ليس لذلك باهل قال الله تعالى لكنى أهل التقوى وأهل المغفرة اشهدكم انى قد غفرت له وكان الجملة لتحقيق الترهيب والترغيب اللذين اشعر بهما الكلام السابق كما لا يخفى على المتذكرة وبعضهم انه لما سمع قوله تعالى هو أهل التقوى وأهل المغفرة قال اللهم اجعلنى من أهل التقوى وأهل المغفرة على أن أول الثانى كثنى الاول مبني للفاعل وثانى الثانى كاول الاول مبني للمفعول والا فلا يحسن الدعاء وان تكلف لتصحيحه فافهم والله تعالى أعلم

سورة القيامة

ويقال لها سورة لا قسم وهي مكية من غير حكاية بخلاف ولا استثناء واختلاف في عدد آياتها ففي الكوفي أربعون وفي غيره تسع وثلاثون والخطاف في تمجيد به ولما قال سبحانه وتعالى في آخر المدثر كلاب لا يخافون الآخرة بعد ذكر الجنة والنار وكان عدم خوفهم اياها لانكارهم البعث ذكر جلا وعلا في هذه السورة الدليل عليه باتم وجهه ووصف يوم القيامة وأهواله واحواله ثم ذكر ما قبل ذلك من خروج الروح من البدن ثم ما قبل من مبدا الخلق على عكس الترتيب الواقع فقال عز من قائل عظيم ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ ادخال لالنافية صورة على فعل القسم مستفيض في كلامهم واشعارهم قال امرؤ القيس

لا وأبيك ابنة العامرى ✽ لا يدعى القوم انى أفر

وقول غوية بن سلمى يرثى ألا نادى أمانة باحتيال ✽ لتحزنى فلايك ما أبلى

وملخص ما ذهب اليه جبار الله في ذلك ان لا هذه اذا وقعت في خلال الكلام كقوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون فى صلة